سلسلة
قصص في الأخلاق
٢
قصص
في الأمانة
ياسر علي نور
دار الفوتاني

سلسلة قصص الأخلاق

٢

قصص في

الأمانة

إعداد

ياسر علي نور

الْقَوِيُّ الأَمِينُ

فِي يَومٍ شَدِيدِ الْحَرَارَةِ، كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجْلِسُ فِي الظِّلِّ مَعَ خَادِمٍ لَهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ.

فَشَاهَدَ رَجُلاً يأتِي مِنْ بَعِيدٍ، يسُوقُ أَمَامَهُ جَمَلَينِ؛ فَقَالَ: مَا الَّذِي أخْرَجَ هَذَا الرَّجُلَ فِي هَذا الْحَرِّ الشَّدِيدِ؟ لِمَاذَا لا ينْتَظِرُ حَتَّى يبْرُدَ الْجَوُّ؟

وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ الرَّجُلُ عَرَفَ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَخَرَجَ لِيسْتَقْبِلَهُ، لَكِنَّهُ أحسَّ بِشِدَّةِ الْحَرِّ، فَعَادَ إِلَى الظِّلِّ، حَتَّى صَارَ عُمَرُ أمامَهُ، فقالَ: ما أخرجَكَ هذهِ السَّاعةَ؟ فَقَالَ: جَمَلانِ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ تَخَلَّفَا، فَخَشِيتُ أنْ يضِيعَا، فَيسْأَلُنِي اللَّهُ عَنْهُما يومَ القِيامَةِ، فَبَحَثْتُ عَنْهُمَا حَتَّى وجَدْتُهُمَا، وأرَدْتُ أن أَرُدَّهُمَا إِلَى الحِمَى (وهُوَ الْمكَانُ الَّذِي تَرْعَى فِيهِ إِبِلُ الصَّدَقَةِ). فَقَالَ عُثْمَانُ: يا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ! تَعَالَ ونُرْسِلُ غَيرَكَ لِيقُومَ بِهَذَا الْعَمَلِ. ولَكِنَّ أَمِيرَ الْمُؤمِنِينَ رَفَضَ، وسَاقَ الجَمَلَينِ أَمَامَهُ حَتَّى أدْخَلَهُمَا الحِمَى. فَقَالَ عُثْمَانُ: مَنْ أَحَبَّ أنْ ينْظُرَ إِلَى الْقَوِيِّ الأَمِينِ فَلْينْظُرْ إِلَى هَذَا. وأشَارَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهُ عَنْه.

الْمَرْكَبُ والْخَشَبَةُ

أرَادَ أحَدُ التُّجَّارِ أنْ يسَافِرَ فِي رِحْلَةٍ للتِّجَارَةِ، لَكِنَّهُ وَجَدَ مَالَهُ قَليلاً، فَذَهَبَ إلَى رَجُلٍ وطَلَبَ مِنْهُ ألْفَ دِينَارٍ، فَوَافَقَ الرَّجُلُ بِشَرْطِ أنْ يُحْضِرَ التَّاجِرُ شَاهِداً وكَفِيلاً. فقَالَ الرَّجُلُ: صدَقْتَ.

وأعْطَاهُ الْمَالَ، ثُمَّ اتَّفَقَا مَعًا عَلَى مَوعِدِ سَدَادِ الدَّينِ.

وسَافَرَ التَّاجِرُ إلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي يرِيدُهَا، فَبَاعَ واشْتَرَى، ورَبِحَ كَثِيرًا، وعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مَوعِدُ سَدَادِ الدَّينِ، ذَهَبَ إلَى الشَّاطِئِ، وبَحَثَ عَنْ سَفِينَةٍ لِيعُودَ بِهَا إلَى بَلَدِهِ، ولَكِنَّهُ لَمْ يجِدْ.

فَنَظَرَ حَولَهُ فَرَأى خَشَبَةً، فأخَذَهَا وَصَنَعَ فِيهَا فَتْحَةً، ووضَعَ بِدَاخِلِهَا ألْفَ دِينَارٍ، ووضَعَ مَعَهَا رِسَالَةً إلَى صَاحِبِ الدَّينِ، ثُمَّ أحْكَمَ عَلَيهِمَا الغِطَاءَ، ورَمَاهَا فِي الْبَحْرِ، وطَلَبَ مِنَ اللَّهِ أنْ يوصِلَهَا لِصَاحِبِهَا الَّذِي رَضِيَ بِاللَّهِ شَهِيداً وكَفِيلاً. وحَمَلَتِ الأمْوَاجُ الخَشَبَةَ، حَتَّى اخْتَفَتْ عَنْ عَينِ التَّاجِرِ.

وفِي الْيومِ الْمُتَّفَقِ عَلَيهِ لِسَدَادِ الدَّينِ، خَرَجَ الرَّجُلُ إلي الشَّاطِئِ، وانْتَظَرَ التَّاجِرَ، فَلَمْ يجِدْهُ، وعِنْدَ عَودَتِهِ رَأى خَشَبَةً فِي المَاءِ، فَأخَذَهَا لِتكُونَ حَطَباً، فَلَمَّا عَادَ لِمَنْزِلِهِ أحْضَرَ الْمِنْشَارَ لِينْشُرَهَا. فَوَجَدَ فِيهَا الْمَالَ والرِّسَالَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ.

وبَعدَ مُدَّةٍ، عَادَ التَّاجِرُ، وذَهَبَ إلَى الرَّجُلِ، واعْتَذَرَ لَهُ، وقَدَّمَ لَهُ ألْفَ دِينَارٍ، فَلَمْ يأخُذْهَا، وقَالَ لَهُ: إنَّ اللَّهَ قَدْ حَفِظَ الْمَالَ الَّذِي أرْسَلْتَهُ فِي الْخَشَبَةِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خيرًا أيُّهَا الأمِينُ.

الذَّهَبُ الْمَدْفُونُ

اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ أَحَدِ النَّاسِ بَيْتًا، وعَاشَ فِيهِ. وفِي يومٍ مِنَ الأَيَّامِ، كَانَ الرَّجُلُ يحْفِرُ حُفْرَةً فِي الْبَيتِ، فَوَجَدَ إِنَاءً مَمْلُوءاً بالذَّهَبِ، فَانْدَهَشَ، وبَدَأَ يفكِّرُ، ويقُولُ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا أَفْعَلُ بِهَذَا الكنْزِ الكَبِيرِ؟

وفِي الحَالِ، تَذَكَّرَ الرَّجُلَ الَّذي بَاعَ لَهُ الْبَيتَ، فَأَسْرَعَ إِلَيهِ؛ والإِنَاءُ فِي يديهِ، وقَالَ لَهُ: يا صَاحِبِي! هَذا الإِنَاءُ وجَدْتُهُ فِي بَيتِكَ الَّذي بِعْتَهُ لِي.

فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّنِي قَدْ بِعْتُ لَكَ الْبيتَ بِمَا فِيهِ، والذَّهَبُ مِنْ حَقِّكَ أَنْتَ.

واسْتَمَرَّ الاثْنَانِ فِي خِلافٍ حَتَّى مَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ ثَالِثٌ، فَطَلَبَا مِنْهُ أَنْ يحكُمَ بَينَهُمَا، فقَالَ لَهُمَا: هَلْ لَكُمَا أَبْنَاءٌ؟

فَقَالَ أَحَدُهُمَا: لِي ابْنٌ. وقَالَ الآخَرُ: لِي فَتَاةٌ.

فَاقْتَرَحَ الرَّجُلُ عَلَيهِمَا أَن يتَزَوَّجَ الابْنُ بِالفَتَاةِ، وأَنْ يُنْفِقَ عَلَيهِمَا مِنْ هَذَا الذَّهَبِ.

فوافَقَ الرَّجُلانِ عَلَى هَذَا الحكمِ، وشكَرَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ.

وهَذِهِ الْقِصَّةُ مِمَّا حكَاهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَحَادِيثِهِ الشَّرِيفَةِ.

أمانةٌ نادرةٌ

اسْتأجرَ أحدُ التُّجَّارِ عُمَّالاً كَثيرينَ ليعْمَلُوا عِنْدَهُ، فَلَمَّا انْتَهوا مِن عَمَلِهِمْ أعْطَى التَّاجرُ كُلَّ واحدٍ أجْرَهُ، إلاَّ رَجُلاً واحدًا انْصرَفَ قَبْلَ أنْ يأخُذَ أجْرَهُ، فَاحْتَفَظَ التَّاجِرُ بِأجْرِ الرَّجُلِ، وتَاجَرَ لَهُ فِيهِ، فَصَارَ أمْوَالاً كَثيرةً.

وبَعْدَ مُدَّةٍ، جَاءَ الرَّجُلُ وطَلَبَ حَقَّهُ، فَأشَارَ التَّاجرُ إلَى قَطِيعٍ كَبِيرٍ مِنَ الإبِلِ والبَقَرِ والغَنَمِ، وقَالَ لَهُ: كُلُّ هَذَا لَكَ. فَأخَذَ الرَّجُلُ الْقَطِيعَ، وانْصرَفَ مَسْرُورًا.

وذَاتَ يومٍ، سَافَرَ هَذا الغَنِيُّ مَعَ اثْنَينِ مِنْ أصْحَابِهِ، وبَيْنَمَا هُمْ فِي الصَّحَرَاءِ دَخَلُوا غَارًا يسْتَرِيحُونَ فِيهِ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ سَدَّتْ عَلَيهِمْ فَتْحَةَ الغَارِ، فَلَمْ يسْتَطِيعُوا الخُرُوجَ، وأصْبَحُوا فِي حَيرَةٍ شَدِيدَةٍ، فَأشارَ أحَدُهُمْ بِأنْ يدْعُوا اللَّهَ بِأفْضَلِ أعْمَالِهِمْ، فَذَكَرَ الاثْنَانِ أفْضَلَ أعْمَالِهِمَا، فَانْفرَجَتِ الصَّخْرَةُ قَلِيلاً، ولَكِنَّهُمْ لَم يسْتَطِيعُوا الخُرُوجَ، ولَمَّا جَاءَ دَورُ التَّاجِرِ دَعَا اللَّهَ تَعَالَى بِمَا صَنَعَهُ مَعَ الأجِيرِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، وخَرَجُوا مِنَ الغَارِ. هَذِهِ قِصَّةٌ مِمَّا حكَاهُ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ.

* * * * *

الرَّاعِي الأمِينُ

خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَر بْنُ الْخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا ـ مَعَ أحَدِ رِفَاقِهِ فِي سَفَرِهِ، فَلَمَّا شَعرَا بِالتَّعَبِ جَلَسَا يسْتَرِيحَانِ بِجوارِ جَبَلٍ، فَمَرَّ بِهِمَا رَاعِي غَنَمٍ، فَنَادَاهُ عَبْدُ اللَّهِ، وسَأَلَهُ: هَلْ أنْتَ رَاعٍ لِهَذِهِ الأغْنَام؟

فَقَالَ الرَّاعِي: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: بِعْ لِي شَاةً مِنْ أغْنَامِكَ. فَقَالَ الرَّاعِي: هَذِهِ الأغْنَامُ لَيستْ مِلْكِي، بَلْ إنَّنِي أرْعَاهَا لِسَيِّدِي.

فَأرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أنْ يخْتَبِرَ أمانَتَهُ، فَقَالَ لَهُ: قُلْ لِسَيدِكَ: قَدْ أكَلَهَا الذِّئبُ. فَقَالَ الرَّاعِي: أيُّهَا الرَّجُلُ! إنْ قُلْتُ ذَلِكَ لِسَيِّدِي لأنَّهُ لا يرَانِي، فَمَاذَا أقُولُ لِلَّهِ الَّذِي يرَانِي إنْ سَألَنِي عَنْهَا يومَ القِيامَةِ؟!

فَأُعْجِبَ عَبْدُ اللَّهِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ بِمَا قَالَهُ الرَّاعِي، وبكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، ثُمَّ عَلِمَ أنَّ هَذَا الرَّاعِيَ مَمْلُوكٌ، فَأسْرَعَ إلَى سَيدِهِ واشْتَرَاهُ مِنْهُ، وأعْتَقَهُ، واشْتَرَى الغَنَمَ، وأعطَاهَا لِذَلِكَ الرَّاعِي مُكَافَأةً له عَلَى أمانَتِهِ.

بَائِعَةُ اللَّبَنِ

فِي إحْدَى اللَّيَالِي، خَرَجَ أمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ ومَعَهُ خَادِمُهُ أسْلَمُ، ومَشَيا فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ لِلاطْمِئْنَانِ عَلَى أحْوَالِ النَّاسِ.

وبَعْدَ مُدَةٍ، شَعرَا بِالتَّعَبِ مِنْ كَثْرَةِ المَشْيِ، فَوَقَفَا يسْتَرِيحَانِ بِجِوَارِ أحَدِ البُيوتِ، فَسَمِعَا صَوْتَ امْرَأةٍ عَجُوزٍ دَاخِلَ هَذَا الْبَيت تَأمُرُ ابْنَتَهَا أنْ

تَخْلطَ اللَّبَنَ بالْمَاءِ، وقَالَتْ لأمِّهَا: إنَّ أَميرَ المُؤمِنِينَ نَهَى أنْ يُخْلَطَ اللَّبَنُ بِالْمَاءِ، وأرْسَلَ مُنَادِياً لِيخْبِرَ النَّاسَ بِذَلِكَ.

فَألَحَّتِ الأمُّ فِي طَلَبِهَا، وقَالَتْ لابْنَتِهَا: أيـنَ عُمَـرُ الآنَ؟! إنَّـهُ لا يرَانَا. فَقَالَتِ الابنَةُ المُؤمِنَةُ الأمِينَةُ: وهَلْ نُطِيعُ أَمِيرَ المُؤمنينَ أمَامَ النَّاسِ ونَعْصِيهِ فِي السِّرِّ.

فَسَعِدَ أمِيرُ المُؤمِنينَ بِمَا سَمِعَهُ مِنْ هَـذِهِ الفَتَـاةِ، وأُعْجِـبَ بإيمَانِهَـا وأمَانَتِهَا.

وفِي الصَّبَاحِ، سَألَ عَنْهَا، فَعَلِمَ أنَّهَا أُمُّ عِمَارة بِنْتُ سفُيانَ بْـنِ عَبْـدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ، وعَرَفَ أنَّهَا غيرُ مُتَزَوجَةٍ، فَزَوَّجَهَا لابْنِهِ عَاصِم، وبَارَكَ اللَّهُ لَهُمَا فَكَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهَا الخَلِيفَةُ العَادِلُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ.

الثَّوْبُ والقَافِلَةُ

ذَاتَ يومٍ، خَرَجَ أحَدُ التُّجَّارِ الأُمَنَاءِ فِي سَفَرِهِ، وتَرَكَ أحَدَ العَامِلِينَ عِنْدَهُ لِيبيعَ فِي مَتْجَرِهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ يهُودِي واشْتَرَى ثَوبًا كَانَ بِهِ عَيْبٌ.

فَلَمَّا حَضَرَ صَاحِبُ الْمَتْجَرِ لَمْ يجِدْ ذَلِكَ الثَّوْبَ، فَسَألَ عَنْهُ، فقَالَ لَهُ العَامِلُ: بِعْتُهُ لِرَجُلٍ يهُودِيٍّ بِثَلاثَةِ آلافِ دِرْهَمٍ، ولَمْ يطَّلِعْ عَلَى عَيْبِـهِ. فَغَضِبَ التَّاجِرُ، وقَالَ لَهُ: أينَ ذَلِكَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ سَافَرَ.

فَأخَذَ التَّاجِرُ المُسْلِمُ الْمَالَ، وخَرَجَ لِيلْحَقَ بِالقَافِلَةِ الَّتِي سَافَرَ مَعَهَـا الْيهُودِيُّ، فَلَحِقَهَا بَعْدَ ثَلاثَةِ أيامٍ، فَسَألَ عَنِ اليهُودِيِّ، فَلَمَّا وجَـدَهُ قَـالَ لَهُ: أيُّهَا الرَّجُلُ! لَقَدِ اشْتَرَيتَ مِنْ مَتْجَرِي ثَوبًا بِهِ عَيْبٌ، فَخُذْ دَرَاهِمَـكَ،

وأعْطِنِي الثَّوبَ. فَتَعَجَّبَ الْيهُودِي وسَأَلَهُ: لِمَاذَا فعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ التَّـاجِرُ: إنَّ دِينِي يأمُرُنِي بِالأمَانَةِ، وينْهَانِي عَنِ الخِيانَةِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ غَشَّ فَلَيسَ مِنِّي».

فَانْدَهَشَ الْيهُودِيُّ وأخبَرَ التَّاجِرَ بِأنَّ الـدَّرَاهِمَ الَّتِـي دَفَعَهَـا للعَامِـلِ كَانَتْ مُزَيَّفَةً، وأعْطَاهُ بَدَلاً مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ أسْلَمْتُ لِـرَبِّ العَـالَمِينَ، وأشْهَدُ أنَّ لا إله إلا اللَّه، وأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه.

الطَّعَامُ الْمُبْتَلُّ

ذَاتَ يَومٍ، دَخَلَ النَّبِي ﷺ السُّوقَ، وأخَـذَ يتَفَقَّـدُ أحْـوَالَ النَّـاسِ، ويتَابعُ أُمُورَ الْبَيعِ والتِّجَارَةِ.

فَمَرَّ عَلَى رَجُلٍ يبِيعُ نَوعاً مِنَ الطَّعَامِ، فَسَلَّمَ عَلَيه، ودَقَّقَ النَّظَرُ فِـي الطَّعَامِ، ثُمَّ أدْخَلَ يدَهُ فِي كَومَةِ الطَّعَامِ، فَوَجَدَهَا مُبْتَلَّةً بِالْمَـاءِ، فَغَضِـبَ النَّبِي ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ إلَى التَّاجِرِ، وقَالَ لَهُ وَهُوَ يعَاتِبُهُ: مَا هَذَا يـا صَـاحِبَ الطَّعَامِ؟!

فَاعْتَذَرَ الرَّجُلُ، وأخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَأنَّ الْمَطَـرَ قَـدْ سَـقَطَ عَلَـى الطَّعَامِ فَابْتَلَّ.

فَرَفَضَ النَّبِي ﷺ هَذِهِ الْحُجَّةَ، ونَصَحَهُ بَأنْ يكُونَ أمِينـاً فِـي بَيعِـهِ؛ فَيظْهِرَ عُيوبَ سِلْعَتِه لِلنَّاسِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «أفَلا جَعَلْتَهُ فَوقَ الطَّعَامِ كَـي يرَاهُ النَّاسُ؟!». ثُمَّ حَذَّرَهُ مِنْ غِشِّ النَّاسِ، وخِدَاعِهِم، فَقَـالَ لَـهُ: «مَـنْ غَشَّ فَلَيسَ مِنِّي».

طَهَارَةُ الْمَالِ

كَانَ للإمَامِ أبِي حَنِيفَةَ النُّعْمَانِ ــ رَضِـي اللَّـهُ عَنْـه ـ شَـرِيكٌ يَتَوَلَّى شُؤونَ تِجَارَتِه.

وفِي يَومٍ مِنَ الأيَّامِ، أرْسَلَ أبُو حَنِيفَةَ شَرِيكَهُ بِبِضَاعَةٍ لِيبِيعَهَا فِي السَّوقِ، وكَانَ مِنْ بَينِهَا ثَوبٌ فِيه عَيبٌ، فَطَلَبَ مِنْـهُ أنْ يُظْهِـرَ هَذَا العَيبَ لِمَنْ يرِيدُ أنْ يشْتَرِيَهُ، فإنْ وافَقَ عَلَى شِرَائِه بِعَيبِه بَاعَـهُ، وإنْ رَفَضَ المُشْتَرِي عَادَ بِالثَّوبِ. وذَهَبَ الرَّجُلُ إلَى السُّوقِ، وبَاعَ البِضَاعَةَ كُلَّهَا، ونَسِيَ أنْ يُبَيِّنَ عَيْبَ الثَّوبِ لِمَنِ اشْتَرَاهُ.

ولَمَّا تَذَكَّرَ الرَّجُلُ أخَذَ يَبْحَثُ عَمَّنِ اشْتَرَى مِنْـهُ الثَّـوبَ فِـي السُّوقِ، لَكِنَّهُ لَمْ يستَطِعِ العُثُورَ عَلَيه.

فَعَادَ إلَى أبِي حَنِيفَةَ، وأخْبَرَهُ بِمَا حَدَثَ، فَقَـرَّرَ أبُـو حَنِيفَـةَ أنْ يتَصَدَّقَ بِثَمَنِ البِضَاعَةِ كُلِّه؛ حَتَّى لا يدْخُلَ فِي مَالِـهِ مَـالٌ فِيـه شُبْهَةُ حَرَامٍ.

وبِهَذَا كَانَ أبُو حَنِيفَةَ مِثَـالاً لِلتَّـاجِرِ الأمِـينِ، الَّـذِي يتَحَـرَّى الأمَانَةَ والرِّبْحَ الحَلالَ فِي تِجَارَتِه.

* * * * *

سِرُّ النَّبِيِّ ﷺ

كَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ يلْعَبُ مَعَ غِلْمَانِ الْمَدِينَةِ. وَذَاتَ يومٍ، مَرَّ عَلَيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَألْقَى علَيهِمُ السَّلامَ، وبَعَثَ أَنَسًا لِقَضَاءِ حَاجَةٍ لَهُ ـ وكَانَ أَنَسٌ يخْدِمُ النَّبِي ﷺ ـ ولَمَّا قَضَى أَنَسٌ حَاجَةَ النَّبِيِّ ﷺ عَادَ إِلَى بَيتِهِ مُتَأَخِّرًا، فَسَأَلَتْهُ أُمُّهُ عَنْ سَبَبِ تَأَخُّرِه، فَقَالَ لَهَا: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّه ﷺ لِحَاجَةٍ لَهُ.

فَقَالَتْ أُمُّهُ: ومَا حَاجَتُهُ؟ قَالَ: إِنَّهَا سِرٌّ.

فَلَمْ تُصِرَّ الأُمُّ عَلَى أنْ تَعْرِفَ هذَا السِّرَّ، وفَرِحَتْ بِابْنِهَا، واطْمَأَنَّتْ إِلَى رَجَاحَةِ عَقْله وأَمَانَتِه، وشَجَّعَتْهُ عَلَى حِفْظِ أَسرَارِ النَّبِي ﷺ، وقَالَتْ لَهُ: لا تُحَدِّثَنَّ بِسرِّ رَسُولِ اللَّه ﷺ أَحدًا.

وقَدْ عَاشَ أَنَسٌ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ طُوالَ حَيَاتِهِ حَافِظًا لِسِرِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأَسْرَارِ النَّاسِ جَمِيعًا.

ثَوْبٌ ثَمِينٌ

جَاءَتْ امْرَأَةٌ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ـ بِثَوبٍ مِنَ الْحَرِيرِ لِتَبِيعَهُ لَهُ، فَقَالَ لَهَا: كَمْ ثَمَنُهُ؟ قَالَتْ: ثَمَنُهُ مِئَةُ دِرْهَمٍ.

فَقَالَ: كَلاَّ، إِنَّهُ يسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ دِرْهَمٍ.

فَتَعَجَّبَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ هَذَا الْمُشْتَرِي الَّذِي يرْفَعُ السِّعْرَ عَلَى نَفْسِه،

وأخَذَتْ تَزِيدُ فِي ثَمَنِ الثَّوْبِ مئَةً بَعْدَ مئَة، حَتَّى قَالَـتْ لَـهُ: إذَنْ خُـذْهُ بِأرْبَعمئَةِ دِرْهَمٍ. فَقَالَ: إنَّ ثَمَنَهُ أكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَتْ: أتَهْزَأُ بِي؟

قَالَ: هَاتِ رَجُلاً يقَدِّرُ لَنَا ثَمَنَـهُ. فَـذَهَبَتْ وأحْضَـرَتْ رَجُـلاً، فَقَالَ: هُوَ بِخَمْسمِئَةِ دِرْهَمٍ. فَاشْتَرَاهُ أبُوحَنِيفَةَ بِهَذَا الثَّمَنِ.

فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةُ الثَّمَنَ وهِي رَاضِيةٌ، ثُمَّ انْصَـرَفَتْ شَـاكِرَةً لأبِـي حَنِيفَةَ أمانَتَهُ وصِدْقَهُ.

ثَوْبٌ مِنْ نَارٍ

بَعْدَ غَزْوَةِ خَيبَرَ، اتَّجَـهَ الْمُسْـلِمُونَ إلَـى مكَـانٍ يُسَـمَّى «وَادِي القُرَى»، فَوَضَعُوا رِحَالَهُمْ، وأنْزَلُوا مَتَاعَهُم مِنْ فَوقِ ظُهُـورِ الإبِـلِ، وأخَذُوا يُعدُّونَ الْمكَانَ ويجَهِّزُونَهُ.

وكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَادِمٌ اسْمُهُ «مِدْعَم»، فَذَهَبَ لِينْزِلَ مَتَاعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وبَينَمَا هُوَ كَذَلِكَ رَمَاهُ أحَدُ الْمُشْرِكِين بِسَهْمٍ، فَقَتَلَـهُ فِي الحَالِ. فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الْجَنَّة.

فَقَالَ لَهُمُ النَّبِي ﷺ: «كَلاَّ، والَّذِي نَفْسِي بِيدِهِ إنَّ الشَّمْلَةَ (وهِي ثَوْبٌ يتَّخِذُهُ النَّاسُ غِطَاءً) الَّتِي أخَذَهَا يومَ خَيبَرَ مِنَ الْمَغَانِمِ لَمْ تُصِبْهَا الْمَقَاسِمُ لَتَشْتَعِلُ عَلَيهِ نَارًا».

فالنَّبِي ﷺ أخْبَرَهُمْ بأنَّهُ سَوفَ يعَذَّبُ بِالنَّارِ؛ لأنَّهُ أخَذَ ثَوبًا مِـنْ غَنَائِمِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ أنْ تُقَسَّمَ عَلَيهِمْ.

فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ، خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ النَّارِ، فَأَسْرَعَ كُلٌّ مِنْهُمْ يفَتِّشُ فِي رَحْلِه، فَرُبَّمَا وَجَدَ فِيه شَيْئًا مِنَ الغَنَائِمِ، فَجَاءَ رَجُلٌ بِشِرَاكٍ أو شِرَاكَينِ (والشِّرَاكُ: سَيرُ النَّعْلِ)، فَقَالَ ﷺ: «شِرَاكٌ مِنْ نَارٍ، أو شِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ».

الْمُؤَامَرَةُ

فِي ظَلامِ اللَّيلِ، جَاءَ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ قَوِيٌّ، يحْمِلُ سَيفًا قَاطِعًا، واجْتَمَعُوا فِي مكَانٍ واحدٍ، وتَسَلَّلُوا حَتَّى وَصَلُوا إِلَى دَارِ النَّبِي ﷺ، ووَقَفُوا أمَامَ بَابِه. لَقَدْ قَرَّرُوا أنْ يقْتلُوهُ، ويضْرِبُوهُ بِسُيوفِهِمْ ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ.

وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى النَّبِي ﷺ بِمُؤامَرَتِهِم، وأمَرَهُ بِتَرْكِ مكَّةَ والهِجْرَةِ إِلَى يثْرِبَ.

وكَانَتْ عِنْدَ النَّبِي ﷺ أمْوَالٌ وأمَانَاتٌ كَثِيرَةٌ لأهْلِ مكَّةَ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الهِجْرَةِ، طَلَبَ مِنَ ابْنِ عَمِّه عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ أن ينَامَ فِي فِرَاشِه، وأنْ يعْطِيَ الأمْوالَ إِلَى أصْحَابِهَا.

فَضَرَبَ لَنَا النَّبِي ﷺ بِسُلُوكه هَذا مَثَلاً رَائعًا فِي الأمَانَة، لِيقْتَدِي بِه الْمُسْلِمُونَ مِنْ بَعْده، فَلَمْ يدْفَعْهُ أَذَى الكُفَّارِ والْمُشْرِكينَ واضْطِهَادهم لَهُ إِلَى الانْتِقَامِ مِنْهُمْ، وأخْذِ أمْوَالِهِمْ ووَدَائعِهِمْ، بَلْ رَأى أنَّ هَذه الوَدَائعَ أمَانَةٌ فِي عُنُقِه لابُدَّ أَنْ يرُدَّهَا إِلَى أهْلِهَا الَّذِينَ ائتَمَنُوهُ، رَغْمَ أنَّهُم آذُوهُ وعَذَّبُوا أَصْحَابَهُ؛ لِذَلِكَ لَمْ يكُنْ غَرِيبًا أنْ يُسَمَّى مُحَمَّدٌ بِالأمِينِ.

الهَدِيَّةُ

أرْسَلَ النَّبِي ﷺ رَجُلاً إلَى قَبِيلَةِ بَنِي سُلَيمٍ لِيَجْمَعَ مِنْهُم الزَّكَاةَ والصَّدَقَاتِ.

وبَعْدَ مُدَّةٍ، عَادَ الرَّجُلُ إلَى الْمَدِينَةِ، وذَهَبَ إلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَجَدَهُ جَالِسًا بَينَ أصْحَابِهِ، فَأَلْقَى عَلَيهِمُ السَّلامَ، وأعْطَى النَّبِي ﷺ بَعْضَ الْمَالِ عَلَى أنَّهُ مَالُ الزَّكَاةِ والصَّدَقَاتِ، وأبْقَى مَعَهُ بَعْضَهُ الآخَرَ، فَسَألَهُ النَّبِي ﷺ عَنْهُ، فأخْبَرَهُ الرَّجُلُ أنَّهُ هَدِيةٌ أُهْدِيَتْ إلَيهِ.

فَنَظَرَ إلَيهِ النَّبِي ﷺ، وأرَادَ أنْ يعَلِّمَهُ الأمَانَةَ، فَبَيَّنَ لَهُ أنَّ هَؤلاءِ النَّاسِ أعْطَوهُ هَذِهِ الهَدِيَّةَ، لأنَّهُمْ عَلِمُوا أنَّهُ رَسُولُ النَّبِي ﷺ، ولَوْ لَمْ يكُنْ كَذَلِكَ لَمَا أُعْطِيتْ لهُ هَذِهِ الهَدَايا، وكَانَ عليهِ أنْ يسَلِّمَ كُلَّ مَا مَعَهُ لِبَيتِ مَالِ الْمُسْلِمينَ.

وهكَذَا أرْشَدَهُ النَّبِي ﷺ إلَى أنَّ الْمُسْلِمَ أمِينٌ فِي مَالِ إخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، لا يطْمَعُ فِيهِ؛ بَلْ يحَافِظُ عَلَيهِ، ويؤدِّيهِ كُلَّهُ لأهْلِهِ، ولا يكُونُ مِنَ الخَائنِينَ للأمَانَةِ؛ فَيعَاقِبَهُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يومَ القِيامَةِ.

*****

الْجَوَاهِرُ الثَّمِينَةُ

فِي عَهْدِ أميرِ الْمُؤمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ انْطَلَقَ جَيشُ الْمُسْلِمِينَ لِيفْتَحَ «الْمَدَائِنَ» عَاصِمَةَ الْفُرْسِ، فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ عَلَى الْجَيْشِ الْفَارِسِيِّ.

وبَعْدَ الْمَعْرَكَةِ، جَمعَ الْمُسْلِمُونَ الْغَنَائمَ الثَّمِينَةَ ـ وأكْثَرُهَا مِنْ ثِيابِ كِسْرَى وجَواهِرِهِ، فَلَمَّا رَآهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ أُعْجِبَ بِأمَانَةِ الجَيشِ وقَائِدِه؛ حَيثُ لَمْ تَغُرَّهُمْ هَذِهِ الغَنَائمُ الثَّمِينَةُ، وقَالَ: «إنَّ قَوماً أدُّوا هَذَا لأُمَنَاء».

وكَانَ عَلِيُّ بْنُ أبِي طَالِبٍ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْه ـ مَوْجُوداً عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: إنَّكَ عَفَفْتَ فَعَفَّتْ رَعِيَّتُكَ، ولَو رَتَعْتَ لَرَتَعَتْ (أي أنَّكَ لَوْ أخَذْتَ أكْثَرَ مِنْ حَقِّكَ لَفَعَلُوا مِثْلَكَ).

* * * * *

قِصَصٌ فِي الأمَانَةِ

الأمَانَةُ خُلُقٌ عَظِيمٌ، وصِفَةٌ جَمِيلَةٌ، يجبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَتحَلَّى بِهَا، ويحْسِنَ أدَاءهَا، مُسْتَجِيبًا لأمْرِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

والْمُسْلِمُ الحَقُّ هُوَ الأمِينُ؛ الَّذِي يأتَمِنهُ النَّاسُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ، فَهُوَ أمِينٌ في البَيعِ والشِّرَاءِ، وأمِينٌ فِي الكَيلِ والْمِيزَانِ، وأمِينٌ عَلَى ودَائعِ النَّاسِ وعَلَى أسْرَارِهِمْ.

والإسْلامُ أعْظَمُ أمَانَةً حَمَلَهَا الإنْسَانُ؛ فَالصَّلاةُ والزَّكَاةُ، والصَّوْمُ والحَجُّ، كُلُّهَا أمَانَاتٌ، وجَوَارِحُ الْجَسَدِ أمَانَةٌ. فَالأمَانَةُ خُلُقٌ كَرِيمٌ يدُلُّ عَلَى الورَعِ، والإخْلاصِ ومُرَاقَبَةِ اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ، وسَائِرِ الأخْلاقِ الفَاضِلَةِ.

ومَا أجْمَلَ أنْ يراعِيَ الْمُسْلِمُ أمَانَتَهُ مَعَ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ومَعَ النَّاسِ، ومَعَ نَفْسِه.

وهَذه القِصَصُ الهَادفَةُ، اخْتَرْنَاهَا مِنْ تُرَاثِنَا الإسْلامِي، لِتُبَيِّنَ فَضْلَ الأمَانَةِ ومكَانَةَ الأمَنَاءِ، لِنَتعَرَّفَ عَلَى الأمَنَاءِ، فَنَقْتَدِيَ بِهِمْ، ونَسِيرَ عَلَى دَرْبِهِم.

سلسلة قصص في الأخلاق

٨١٠٠٥٦